في
تَحْقِيق التُّراثِ العَربيّ وَ نَشْرِه

دكتور
فتوح خليل
أستاذ النحو والصرف والعروض
٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فقد كانت الكلمة الأولى التي أُنزلت وحيًا على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في آخر اتصال للسماء بالأرض هي كلمة (اِقْرأْ): {اقْرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}([1]).

وجدير بالذكر أنَّ علماء المسلمين قد خلفوا وراءهم مواريث عظيمة، بيد أن هذه المواريث لم تخلد كما هي؛ بل طرأت عليها صروف الدهر من المحن التي أدت إلى تلف معظمها بالإحراق، أو الإغراق، أو التمزيق، وذلك على يد أعداء أمة الإسلام - وبعض هؤلاء الأعداء الذين أقدموا على هذه الجرائم نقل معه إلى بلاده ما تبقى من المؤلفات القيمة النافعة من فنون متعددة، وغرضهم من ذلك أن يجعلوها مظاهر تاريخية يحتفظون بها في مكتباتهم كمتاحف للزوار([2]).

جهود المستشرقين في مجال تحقيق التراث العربي:-

بقيت المؤلفات المنقولة من بلاد المسلمين إلى بلاد الغرب محفوظة في مكتباتهم مئات السنين ولا علم للمسلمين بشأنها، إلا ما تحيل إليه الكتب الموجودة لديهم كمراجع، ولما أراد الله إبرازها هيأ لها من الغربيين من يقوم بدراسة اللغة العربية التي كتبت بها تلك الكتب دراسة عميقة بليغة فهموا

([1]) سورة العلق ٩٦/ ١-٤

([2]) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية، ص ١٧، تأليف عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: ١٢٩٣هـ)، مكتبة الهداية ، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ _ ١٩٨٩م.

من خلالها أسرار اللغة العربية ومراميها الدقيقة وطرق كتابتها وتأليفها وأضافوا إلى هذه الثقافة الجديدة ما عندهم من قواعد ومناهج متبعة في تحقيق المخطوطات ونشر التراث، ولما اطلعوا على هذه الكتب العربية الإسلامية التي زخرت بها مكتباتهم بعد هذا الفهم الدقيق فسابقوا إلى إحيائها ونشرها بعيدة عن التبديل والتغيير لأنهم طبقوا في نشر النصوص العربية القواعد التي تتبع في أوروبا لنشر النصوص الكلاسيكية وهي قواعد دقيقة تضمن الأمان في إخراج النص وتضمن أن يأتي النص المنشور كما وضع في أصله، سواء كان عربيا أم غيره؛ وإلا يعتبر عيبا فاحشا في دنيا الثقافة لديهم([3]).

وللمستشرقين مجهودٌ مقدر في بعث الكتابات الجاهلية ونشرها؛ فقد أعادوا إلى الخط الذي كتبت به الحياة، وجعلوه مقروءًا معروفًا، وترجموا كثيرًا من هذه النصوص إلى لغاتهم، وهي وثائق من الدرجة الأولى، وعملوا على نشر النصوص بالمسند وبالحروف اللاتينية أو العبرانية أو العربية في بعض الأحيان، وعلى استخلاص ما جاء فيها من أمور متنوعة عن التأريخ العربي قبل الإسلام([4]).

([3]) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية (ص: ١٨)

([4]) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٢٣، المؤلف: الدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ، الناشر: دار الساقي

الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

هذا، وقد نجح علماء الغرب حقيقة في وضع مجموعة من الأصول والقواعد اللازمة لنقد النصوص وتحقيقها، وقد حدث هذا خلال القرن التاسع عشر، وقد تأثر المستشرقون بهؤلاء العلماء، واعتمدوا على تلك الأصول والقواعد في نشرهم لأمهات الكتب العربية.

ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم دور في تأصيل هذه الأصول: "وليم رايت" الذي نشر كتاب (الكامل) للمبرد، سنة أربع وستين وثمانمائة وألف. و "جوستاف يان" الذي نشر (شرح المفصل) لابن يعيش سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة وألف، ومنهم "بيفان" ، الذي نشر نقائض جرير والفرزدق نشرة علمية مزودة بالفهارس والتعليقات، في "ليدن" سنة ألف وتسعمائة وخمس([5]).

ومن هؤلاء أيضا "تشارلز ليل" الذي نشر (شرح المفضليات) لابن الأنباري، مع ترجمة بالإنجليزية في بيروت سنة ألف وتسعمائة وعشرين. و "رودل فيجير" الذي نشر ديوان الأعشى الكبير، في كتاب سماه (الصبح المنير في شعر أبي بصير) ، وذلك في لندن سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف، وغير أولئك كثير.

" ومن الإنصاف أن نقرر أن المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا العربي منذ القرن الماضي وأنهم أول من نبهنا إلى كتبنا ونوادر مخطوطاتنا وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصا لولاهم لم نعرفها"([6]).

([5]) أصول البحث الأدبي ومصادره ص: ٢٩٠

([6]) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية (ص: ١٩)

ثم شاء الله تعالى أن يهيئ فريقًا من العرب يحذون حذوهم في تحقيق النصوص، فنجحوا أيَّما نجاح، وجهودهم ذات شقين:

الأول:

ما قاموا به من تحقيق ونشر لكنوز من تراثنا، مقتفين آثار أجدادهم في عصورهم العلمية المزدهرة، وناظرين إلى الأصول والقواعد التي وضعها علماء الغرب في هذا المجال([7])، ومنهم العلامة أحمد زكي باشا الذي حقق كتابي (أنساب الخيل)، و(الأصنام) لابن الكلبي، و الشيخ العلامة محمود محمد شاكر، وقد حقق مجموعة من كتب التراث منها على سبيل المثال (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر، (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي، و(الحماسة الصغرى) التي تسمى كتاب (الوحشيات) لأبي تمام وغيرها كثير، ومنهم أيضا الشيخ أحمد محمد شاكر، وله أكثر من تحقيق منها كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة، و (الأصمعيات) بالاشتراك مع عبد السلام هارون وله (المفضليات).

ومن هؤلاء الأعلام أيضا: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، وتحقيقاته كثيرة جدا منها كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة، وكتاب (العمدة) لابن رشيق، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان، و (مروج الذهب) للمسعودي، و (مجمع الأمثال) للميداني وغير ذلك كثير.

([7]) أصول البحث الأدبي ومصادره ص: ٢٩١

ومنهم أيضا محمد أبو الفضل إبراهيم الذي حقق آمال المرتضي والشريف، والمسماة بـ (غرر الفوائد ودرر القلائد)، وكتاب (تاريخ الأمم والملوك) للطبري، وديوان امرئ القيس.

ومن هؤلاء المحققين أيضا علي محمد البجاوي، ومن تحقيقاته: كتاب (زهر الآداب وثمر الألباب) للحصري القيرواني، وشرح (المفضليات) للتبريزي، وكتاب (الصناعتين) للعسكري بالاشتراك مع محمد أبي الفضل إبراهيم، وكتاب (مختارات شعراء العرب) لابن الشجري([8])، فضلا عن أسماء لامعة في هذا المجال: منهم: رمضان عبد التواب، وعلى النجدي ناصف، ومصطفى السقا، ومحمد زغلول سلام، ومحمد عبد المنعم خفاجي، وإحسان عباس، ونوري حمودي القيسي، وعبد العزيز الميمني وغيرهم كثير. هذا بالإضافة إلى ما يقوم به الباحثون في الأقسام العلمية داخل الجامعات، من تحقيق المخطوطات في مرحلتي الماجستير والدكتوراه.

وأمَّا الشقّ الثاني فيتمثل فيما قاموا به من مؤلفات وكتابات حديثة، أصلوا فيها لقضية التحقيق والتوثيق وعالجوها من شتى جوانبها، وهو شق تأصيلي تنظيري، وضعوا فيه الأصول والقوانين والمقاييس التي ينبغي للمحقق أن يلتزمها ويسير عليها، في مجال التأصيل للتحقيق ونشر التراث، ومن هذه المؤلفات ما كتبه الدكتور محمد مندور في مقالين نشرهما في مجلة الثقافة المصرية، سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف، وتم نشر المقالين بعد ذلك في كتابه الذي يسمى (في الميزان الجديد)، وهو كتاب قيم في الأدب

([8]) أصول البحث الأدبي ومصادره (ص: ٢٩٢)

والنقد عرض فيه الناقد العلامة الدكتور محمد مندور لكثير من آرائه التأصيلية، تكلم فيها عن التحقيق.

ومن هذه الكتابات ــ أيضا ــ كتاب (تحقيق النصوص ونشرها) للأستاذ عبد السلام هارون، وطبع سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف، ولا يزال يطبع، وهو كتاب قيم متخصص في هذا المجال و(قواعد تحقيق النصوص) للدكتور صلاح الدين المنجد، عبارة عن مقالة نشرها بالمجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف.

ومن هذه الكتابات ــ أيضا ــ (منهج تحقيق النصوص) للدكتور نوري حمودي القيسي بالاشتراك مع الدكتور سامي مكي العاني، طبع هذا الكتاب في بغداد سنة خمس وسبعين وتسعمائة وألف.

ومن هذه الكتابات أيضا كتاب (تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره) للدكتور عبد المجيد دياب، وطبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف. ومن هذه الكتابات أيضا (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي) للدكتور محمود محمد الطناحي، وطبع بالقاهرة سنة أربع وثمانين وتسعمائة وألف.

ومن هذه الكتابات أيضا (مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمْحدثين) للدكتور رمضان عبد التواب، وغير ذلك كثير من الكتابات، وطبع بالقاهرة سنة ست وثمانين وتسعمائة وألف.

وما أحوجنا في هذه الأيام إلى الاطلاع على تلك المصنفات القيمة، التي تتناول نشر النصوص، بالطرق العلمية المعتبرة، بعد أن كثر نشر

النصوص بصورة سيئة على أيدي بعض المحققين، فقد ترى من بعض أولئك عَجَبًا، " حيث يشوهون النصّ تشويها، ولو أنهم تركوه في خزائن المكتبات مخطوطا لكان خيرا لنا ولهم" ([9]).

والتُّراثُ في لغة العرب: مَا يَخْلُفُهُ الرَّجُلُ لِوَرَثَتِهِ، والتاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ([10])، والتُّرَاثُ: الميراث، وأصله وُرَاث، من ورث...، قال تعالى: {وَتَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلا لَمًّا}([11]). وقال يزيد بن الصَّعِق:

وما كانَ مَالِي عَنْ تُرَاثٍ وَرِثْتُهُ

ولا صَدُقَاتٍ من نِسَاءٍ أَوَائِمِ([12])

وفي الاصطلاح: كُلّ ما خلّفه السَّلف من آثار علميّة وفنية وأدبيّة، سواء مادِّيَّة كالكتب والآثار وغيرها، أم معنوية كالآراء والأنماط والعادات الحضاريّة المنتقلة جيلاً بعد جيل، مما يعتبر نفيسًا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه، وهو إمَّا تراثًا إسلاميًّا، وإمَّا تراثا ثَقافيًّا، وإمَّا تراثا شَعبيًّا([13])."من ألوف الكتب والرسائل، والتي لا يزال كثير منها مخطوطا في مكتبات العالم شرقه وغربه، وما تحتوي هذه الكتب من آراء ونظريات

([9]) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تأليف المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) ،(٥/١) ، حققه: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

([10]) لسان العرب (ورث) ٢/ ٢٠١

([11]) سورة الفجر ١٩/٨٩

([12]) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٧٣٨/٢

([13]) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٢٠)

تشهد على أصحابها أو لهم، وتعكس فكرهم وثقافتهم، وتصور حضارتهم، وليس هناك حدود معينة لتاريخ أي تراث، فكل ما خلفه المؤلف من نتاج يعد تراثا فكريا له قيمته "([١٤]) كتب أغلبه على أكتاف الإبل واللخاف (الحجارة البيضاء العريضة الرقيقة) وعلى عسيب النخل، وكانوا يكتبون على الجلود والأوراق الوافدة من الصين في عهد بني أمية، ثم على الورق الخراساني المصنوع من الكتان ([١٥]) ، ولم يستعمل الورق بكثرة إلا بعد ما أشار الفضل بن يحيى البرمكي بصناعة الكاغد، ولما ولي هارون الرشيد الخلافة وكثر استعمال الورق أمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد، أما الرق فظل يستعمل إلى جانب الورق حتى منتصف القرن الثالث الهجري ([١٦]) ، وظل البردي يستعمل في الكتابة وبخاصة في مصر حتى انعدم في أوائل القرن الرابع الهجري ([١٧]) .

([14]) أصول البحث الأدبي ومصادره – جامعة المدينة (ص: ٢٨٣)

([15]) هارون، عبد السلام / تحقيق النصوص ونشرها – القاهرة: المؤلف، ١٩٦٥م ص ٢١.

([١٦]) المصاحف المخطوطة في القرن الحادي عشر الهجري ص: ١٧)

([17]) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية/ الخط العربي، ص ٣٧.